مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:26 عدد:4 (رت 66) السنة:2022

صورة الجامعة الجزائرية

في رواية "الموت في زمن هش" للروائي "محمد رفيق طيبي"

The image of the Algerian university in a novel "Death in a Fragile Time" by the novelist "Mohamed Rafik Tibi"i

حنبلي سميرة[1]

طالبة دكتوراه جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان–

مخبر الدراسات النقدية الأدبية وأعلامها في المغرب العربي من التأسيس إلى نهاية القرن العشرين

samira.hanbli2017@gmail.com

د.بن جماعي أمينة

جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان–

alayamoune@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/01/26 القبول 2021/11/13 النشر على الخط 2022/05/10

Received 26/01/2020 Accepted 13/11/2021 Published online 10/05/2022

ملخص:

تحاول هذه الدراسة أن ترصد بعض صور الجامعة في الرواية الجزائرية، باعتبارها من أهم المؤسسات التعليمية في المجتمع. وهذا من خلال رواية "الموت في زمن هش" ل"محمد رفيق طيبي" أنموذجا. حيث حاولت الرواية أن تسجل معظم الصور السلبية التي تعانيها الجامعة الجزائرية، والتي ساهمت في تراجع مردوديتها. فعرض لنماذج خيالية لمستمدّة من واقع الجامعة التي أضحت حرما خصبا لمختلف أنواع الفساد والانحلال. ليحمّلها مسؤولية الهشاشة التي يعاني منها المجتمع .

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية – الموت في زمن هش– محمد رفيق طيبي–الجامعة الجزائرية.

Abstract:

This study tries to monitor some of the photo University in the novel, as one of the most important educational institutions in society, and that through the novel ' death in a crisp ' Mohamed Rafik Tibi ' model. So I tried the novel to record most of the negative image experienced by the Algerian League, which contributed to the declining effectiveness. Introduced to the fictional models to derive from real college which became fertile deprived of various types of corruption and decay. Responsibility for fragile afflicting society.

Keywords: The Algerian novel-death in a time of crisp-Mohamed Rafik Tepe-Algerian University.

[1]– المؤلّف المراسل: **حنبلي سميرة** البريد الإلكتروني: **samira.hanbli2017@gmail.com**

1.مقدمة:

تعبّر النصوص الأدبية عن المجتمعات ومشاكلها، وتعكس أحلام الشعوب، وتبرز وعيها وتوجهاتها، وكأنّ هذه المجتمعات تنعكس داخل النصوص ليبرز روحها وجوهرها. وقد أكّد هيجل هذه العلاقة بين الأدب بالمجتمع حين صرّح أنّ: "**الآداب تعبر وبشكل كامل عن مجتمعاتها، وأنه بإمكاننا فهم هذه المجتمعات من خلال الدراسة الواعية لآدابها. فلكلّ مجتمع روح مهيمنة تظهر وبشكل واضح في آدابه وفنونه.**"[1] وقد عرفت هذه النظرية صدى واسعا في الأعمال الأدبية العالمية المختلفة. لأنّ النصوص تستمد "**روعتها من تصويرها الصادق لبيئة ما، أو طبقة اجتماعية معينة.**"[2] إلى درجة أنها تحوّلت إلى أداة تعبير رصدية للتحولات المجتمعية المختلفة، ف"**كلما كان الروائي أعمق تحليلا في صميم الحياة، وأصدق إلهاما في التعبير، كان لروايته حظ أوفر في عالم البقاء.**"[3]

ركّزت الرواية الجزائرية هي الأخرى على تصوير الواقع، ونقل مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع، ف"**المتتبع للتيارات الأدبية في الجزائر يجد أنّ خلاصتها جميعا هو التيار الواقعي.**"[4] الذي يعكس هموم الشعب وآلامه، وآماله. فلطالما كانت الرواية الجزائرية وسيلة لتعرية الواقع وفضح خباياه، وخصوصا نبش المسكوت عنه."**ذلك أنّ الرواية لها هدفان واضحان: فنّي وتعليميّ**".[5]

وقد شكّلت الجامعة جزءا كبيرا من واقعنا وعالمنا، كونها **تعدّ من أهم المؤسسات التعليمية في المجتمع، إضافة إلى خصوصية الوظائف والأدوار التي تؤديها، وكذا لأنّها تشكل آخر حلقة في حلقات نظامه التعليمي، وأخيرا لطبيعة مخرجاتها التي تمدّ بها المجتمع، والتي يأتي في مقدمتها المثقف.**[6] فهي تمثل قمة الهرم التعليمي في المجتمع، وتكمن أهميتها خاصة في تنمية المجتمع وتطويره، من خلال إنتاج الكوادر والإطارات؛ ارتأينا أن نرصد بعض صور الجامعة في الرواية الجزائرية. عسى أنّ يفيد في تعرية صورتها وكشف خباياها، وتحسين صورتها وفعاليتها. فالجامعة الجزائرية لم تعد تلك المؤسسة التي تنتج النخبة المثقفة وبالتالي عدم مساهمتها في التنمية الوطنية.

على اعتبار أنّ "**الرواية هي الشكل الذي به يخاطب مجتمع ما نفسه.**"[7] اخترنا رواية "الموت في زمن هش" للروائي "محمد رفيق طيبي"، لرصد بعض صور الجامعة في الرواية الجزائرية. رغم أم أنّ الرواية قد تطرقت للعديد من القضايا التي حدثت في المجتمع العربي

---

[1]– فضيلة فاطمة دروش، "سوسيولوجيا الأدب والرواية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013 ، ص: 38.

[2]– محبة حاج معتوق، "أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية الحديثة"، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص: 36.

[3]– المرجع السابق: ص30.

[4]– أبو القاسم سعد الله، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، د.ط، 1985 ، ص: 28.

[5]– محبة حاج معتوق، " أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية الحديثة"، ص: 28. بتصرّف.

[6]– فاتح باي، "دور الجامعة الجزائرية في إنتاج النخبة المثقفة"، تحت إشراف د:الطاهر سعود، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية، جامعة سطيف 2، الجزائر، 2015/2014، ص: أ.بتصرف.

[7]– ريمون ماهيو، "نظريات القراءة :من البنيوية إلى جمالية التلقي لقراءة السوسيو– نقدية"، ترجمة د.عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2003، ص: 63.

وأدّت إلى تفكّكه وزادت من أزماته. حيث تحدث عن أزمة التسعينيات في الجزائر، وما حدث في سوريا وليبيا والبلدان الأخرى، وأشار إلى الهشاشة العارمة بالعالم العربي منذ عقود. إلّا أنّني في هذه الدراسة سأكتفي باستجلاء الصورة التي قدّمها الكاتب عن الجامعة الجزائرية بمختلف هيئاتها وأركانها، من خلال قصة الحب التي تجمع "هيام بوصوف" المثقفة والأكاديمية بطالب تدرسه يدعى "يوسف"، حيث كشف الستار عن ما يعتريه الوسط الجامعي من هشاشة، ووضّح تأثير ذلك على الوضع العام بالمجتمع الجزائري، فقال في نصّه عن ذلك: "**ميعت المفاهيم في زمن لا يحق لأبنائه إلاّ الخجل، لم يعد أيّ شيء ذو قيمة يحظى بالاهتمام، في الزمن المرّ كل شيء مضاد للحقيقة وكل حقيقة تخفي وراءها كواليسا من الوهم المبطن، ما أعظم كذبة الإنسانية التي ملأت شعاراتها الأفئدة وما أعظم الغياب في الحضور العابر.**"[1] وبذلك هو يرجع مرد هشاشة الوطن وأزماته، إلى هشاشة الجامعة وعجزها.

لكن في البداية أودّ التأكيد على أنّي من خلال الاستقراء والتحليل الموالي لا أنكر أو أستهين بالجامعة الجزائرية وهياكلها المختلفة، حيث إنّ المخرجات السنوية للجامعة والكفاءات الشبابية التي تجتهد لتنهض بالمجتمع، وتهافت البلدان الغربية على البعثات العلمية الجزائرية، ودور الكفاءات الجزائرية في أكبر المؤسسات الأجنبية، يشهد لها بدورها وأهميتها في بناء المجتمع. إلّا أنّني أوافق الكاتب في تركيزه على الجوانب السلبية، فهي التي تحتاج للتقويم والاستدراك، أمّا الإشادة بالفضائل فيتنافى مع الدور الحقيقي للأديب المبدع، ويتخالف مع الهدف الأساسي للدراسات البحثية التي تسعى للنهوض بالمجتمع، وتسديد التوجهات المجتمعية والتنموية.

2. صورة الجامعة في رواية "الموت في زمن هش":

خاطب الروائي القارئ فقال: "**سأكتفي بتوفري مكان آمن لك تطل منه على نوافذ الواقع والحقيقة[...]جئتك من الواقع إلى الواقع.**"[2] فهو بهذا يؤكد أنّها ليست مجرد خيال، وإنّما هي رواية مستمدة من الواقع، ركّز من خلالها على الجوانب السلبية والهشّة من الجامعة، ووضّح تأثير ذلك على مسار المجتمع، واتجاه عجلة التنمية المجتمعية...

يعدّ "**المكان الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتتفاعل معه، وأيّ نص مهما كان جنسه الأدبي لابد أن يتوافر على هذا العنصر مادام فعل الحكي هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه ويتمظهر من خلاله وبوساطة آلياته وقوانيه.**"[3] إذ أنّ المكان يتصل بجميع العناصر السردية الأخرى؛ من زمن وشخصية وحدث، فلا يمكننا التطرق لهذه العناصر بمعزل عنه. حيث أنّنا "**إذا تأملنا المكان الروائي، وجدنا أنه هو الذي يمثل البعد المادي الواقعي للنص، وهو الفضاء الذي تجري فيه أو عليه، الحوادث، ولا نبالغ إذا قلنا أنّ المكان يعدّ في مقدمة العناصر والأركان الأولية، وبذلك يعدّ هذا المكون السردي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها البناء السردي، سواء أكان هذا السرد قصة قصيرة، أم قصة طويلة، أم رواية**".[4]

---

[1]- محمد رفيق طيبي، "الموت في زمن هش"، دار قيسيرا للنشر، د.ط ، 2015، ص114.

[2]- المصدر نفسه، ص، ص: (7-8). بتصرف.

[3]- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، "جماليات التشكيل الروائي"، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 2008 ، ص: 229.

[4]- إبراهيم خليل، "بنية النص الروائي"، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 131.

وعلى اعتبار أنّ "محمد رفيق طيبي" صوّر الجانب السلبي من الجامعة الجزائرية على اختلاف هياكلها وشخصياتها، تجسد الفضاء الخارجي للجامعة بصورة غير جميلة، محاولة منه لتأكيد تلك الصورة السيئة والسلبية للجامعة الجزائرية، فصوّر أبنيتها، في قوله: "**غيرّ مكانه متكأ على جدار قريب من مدخل تلك الإدارة المهترئة.**"[1] وصف الكاتب بناء الجامعة بالقدم، كتعبير عن صورتها التي لم يسعى المسؤولين لتحسينها وتجميلها، وإنّما بقيت على حالها منذ نشأتها، حتى ظهر عليها القدم والعجز، فكان بذلك شكل المكان عاكسا لواقع وتطلعات وانجازات الجامعة .

وحتى حديقتها التي أشاد بجمالها وكيف أنّها كّيفت بشكل يضمن راحة نفسية وجسمية، في قوله: "**فقرر الجلوس بحديقة الجامعة التي كّيفت بشكل يضمن راحة نفسية وجسمية لما بها من أشجار وهدوء يمنحانها من البهاء والسكينة ما لا يتوفر في أماكن أخرى**"[2]؛ ربطها بالجانب السلبي، وصوّر تحوّلها لكطان للانحلال الأخلاقي وهو ما تجلى في قوله: "**وصل إلى الكلية، وجدَها تنتظره في الحديقة الخلفية التي تضم العشرات من العشاق، اختلفت طرقهم في التعبير فهذا يضمها إلى صدره ويهمس في أذنها، وذلك يمسك بيديها ويظهر ملامح الغزل...**"[3] حيث تجسّد الحرم الجامعي في الرواية كفضاء لالتقاء العشاق، حتى أصبحت "**كلية الحقوق تتنفس الحب وكأنه أكسجينها الوحيد.**"[4] فها هو "يوسف" يتساءل عن أين يمكن له أن يلتقي حبيبته "هيام" بعد أن انتهى الموسم الجامعي، فحين قالت له هيام: "**سنلتقي قريبا**".[5] أجابها متسائلا ومتعجبا: "**أين والموسم الجامعي قد انتهى بالنسبة لكِ؟.**"[6] فالجامعة بالنسبة له هي المكان الوحيد للالتقاء مع حبيبته .

ركّز الروائي على عدم قدرة الجامعة على تحقيق أهدافها ودورها في التحصيل والثقافة، فنلاحظ أنه رغم ثقافة البطل الواسعة، إلاّ أنّ هذه الثقافة لم ترتبط بتخصصه في كلية الحقوق وإنّما كان ميولا خاصا نحو الأدب، ويؤكد هذا من خلال قول بطل الرواية: "**حينما اقترب الموسم الدراسي من الاختتام جلست ذات ليلة محاسبا ومفكرا في السنوات التي قضيتها مرابطا بين جدران الكلية أتفقه في الفراغ وأتعلم ما ينسى، لم أجد إلاّ أرقاما رياضية دونت في كشوف كثيرة تشهد على تحصيل نسيت أني حصلته ولم أتذكّر أبدا بأني بحثت فيه أو تعبت من أجله. لم يتبق من الجامعة إلاّ بعض الذكريات لا أدري إن كنت سأتذكّرها مستقبلا أم أنساها كما نسيت كل الدروس.**"[7] فالروائي بهذا يصور فشل الجامعة في تحقيق جلّ أدوارها والمتمثلة في ترسيخ الأخلاق والقيم، والتحصيل المعرفي وكذا البحث العلمي، وبالتالي عدم قدرتها على تنمية المجتمع.

أكّد "محمد طيبي" على إسهام الجميع في ما آلت إليه الجامعة من تدهور؛ فخلق لأجل ذلك شخصيات ساهمت في تعرية الواقع وكشف الحقائق، إذ أنّ "**العمل الروائي يتيح فيما يتيحه القدرة على التشخيص [...] بحيث تصبح الشخصية الفنية الروائية**

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 21.

[2]- محمد رفيق طيبي، "الموت في زمن هش"، ص: 20.

[3]- المصدر السابق، ص: 114.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- المصدر نفسه، ص: 196.

[6]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7]- المصدر نفسه، ص: 184-185.

قادرة على التعبير عن طبقة، فئة شريحة اجتماعية معينة..."[1] وقد مثلت أغلبية الشخصيات في هذا العمل الروائي الجانب السلبي من كل فئة من فئات الوسط الجامعي، فنجد أنّه تطرّق إلى الصور السلبية، لكلّ من:

1.2 أعوان الأمن:

تحدّث الروائي عن الفئة الفاسدة من أعوان الأمن وأشار إلى دورهم في انتشار الانحلال الخلقي بالحرم الجامعي، بعدم قيامهم بأدوارهم و مهامهم، بل حتى أنّ منهم من ساهم في انتشار الظاهرة، وكان جزءا منها. فقال: "**فلا سلطة هناك منذ صار أعوان الأمن يشتهون تلك الأجساد التي ترى فيهم الحماية والضمان، فآخر فضيحة هزت أوساط الطلبة كانت يوم أعلنت إحدى الطالبات أنّ رئيس فرقة الأمن الذي بلغ من بياض الشعر ما يخفي قذارته يتحرشُ بهاو يساومها المتعة.**"[2] إنّ رسمه لهذه الشخصية بصورة رجل كبير السن لم تكن اعتباطية، وإنّما أراد أن يؤكّد تفشي هذه الظاهرة على مختلف الفئات العمرية، وقد صرّح بذلك في قوله: "**فمتى كان الرئيس الكبير مظهر أو عمرا يتحرى هاته الدناءة فكيف سيكون حال أولئك الذين يترأسهم ولم تتجاوز أعمار غالبيتهم الثلاثين.**"[3] فهو بذلك يدفع القارئ إلى تصوّر حال أعوان الأمن الشباب من خلال دناءة الكبير في السن.

2.2 الطالب:

صورة الطالب شملت نظرتهم للجامعة وتأهبهم الخاطئ للدخول الجامعي، موضحا ذلك بقول السارد: "**هكذا هي الجامعة في بدايات كلّ موسم حيث الهرج والمرج كبير وحالة من التأهب العشقي والعاطفي يطارد أذهان الشبان بمختلف توجهاتهم.**"[4] فهم لا يهتمون بالدراسة، ولا البحث والعلم، بل حتى أنّهم وللأسف يفرحون لعدم الدراسة، أو بسبب غياب أستاذ. أستاذ. فهاهي مليكة تبشرهم بعدم الدراسة قائلة: "**هل علمتم أنّ والدة أستاذ القانون الدستوري ماتت وقد لا ندرس أسبوعا، ثم تطلق قهقهة تعلن جهرا أنها فرحة لهذا الخبر الأليم.**"[5]

تعدّدت شخصيات الطلبة بتعدد الأفكار التي حاول الكاتب طرحها، والصور التي أراد إبرازها "**إذ يدخل رسم الشخصية في صلب ما يعطي الرواية قيمتها الفكرية والجمالية.**"[6] وبهذا فقد انحصرت شخصيات الطلبة في نماذج من الفئة السلبية والجوانب السلبية في شخصياتهم، والتي لعبت دورا أساسيا في فشل الجامعة. حيث تحدث عن اهتمام الشباب الزائد بالنساء من خلال تحدثه عن البطل وصديقه "عبد القدوس"، قائلا: "**وكعادة الشباب لم يخلوا حديثهما من الحديث عن النساء والتفلسف فيهنَّ.**"[7]

---

[1]- عبد الله رضوان، "البنى السردية "2 (نقد الرواية)"، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص: 376.

[2]- المصدر السابق، ص: 32.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه ، ص: 16.

[5]- المصدر نفسه، ص: 44.

[6]- أمال سعودي، "حداثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج"، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المسيلة، 2007_2008، ص: 135.

[7]- المصدر السابق، ص: 13.

كذلك أشار إلى عدم اكتراث الطلبة بالدراسة، فعلى طول المتن الروائي كان مكان التقاء الطلبة إمّا الحديقة أو القهوة، أو البيت، أو المطعم... ولم يحدث أبدا في المكتبة، أو المخبر،.. مبرزا من خلال ذلك، عدم اهتمامهم بتحصيل العلم والبحث العلمي.

ليضيف إلى كل هذه الأسباب والعوامل، عوامل أخرى تجسّدت من خلال تصويره لشرود البطل في التفكير بالمستقبل المجهول: "**كان منشغلا عن مشاريعها الساذجة بالتفكير في مستقبله ومستقبل غيره من الشباب فهو يرى أن خريجي الجامعات يتكاثرون بشكل فظيع ومناصب الشغل كل يوم تحد ندرتها أكثر، هذا ما يفتح الأفق أمام استفحال الآفات الاجتماعية والظواهر السلبية.**"[1] إذ أنّ مستقبل الطالب المجهول، وشبح البطالة الذي ينتظره بعد التخرج، عوامل أساسية في عدم إقباله على التعليم والبحث.

أشار كذلك إلى ظاهرة الهجرة التي استفحلت بالمجتمع، وسيطرت على فكر وأحلام الشباب الجزائري، فنجد عبد القدوس يستغرب عدم بقاء والد البطل بفرنسا، فيقول له: "**لماذا يا عمي لم تقم بأخذ أبنائك إلى فرنسا، أنت تدرك جيدا أن لا شيء هنا يستحق البقاء.**"[2] فيجيبه عن ذلك الوالد الذي كانت له تجربة تدعم جوابه: "**يا عبد القدوس، يا ولدي، أنت مخطئ تماما، لم أرض لأحد نسيان الله ونسيان الأهل والأحبة، كم حدث هذا في تلك الأيام، أعتقد أنه لا يزال يحدث مع الشباب الذي يرى في الهجرة حلما بدون كوابيس.**"[3]حيث حاول الروائي توضيح سلبيات الهجرة، التي تفوق ايجابيتها، وتأكيده على أنها ليست ليست كما يتخيل الشباب، كمحاولة لتحويل أنظار الطلبة من فكرة الهجرة، ودفعهم للهتمام بالتعليم، والتحصيل الثقافي الذي ينمي البلدان، يرقى بالأمم.

كما تطرق الروائي إلى الجانب الديني عند الطلاب، فمثلا وصف شخصية "يوسف" في بداية الرواية، بقوله: "**اعتداله الذي طال دينه وتعبده ومناحي حياته لم يستقر على نفس الطريقة والمذهب في أمور النساء فهو لا يزال متعصبا، متشددا، مضادا لغرائزه، منتهجا لطريق الجفاء ضد كل من تصله أو تحصل على عناوين التواصل معه بعد عناء طويل.**"[4] ليتحول بعد دخوله للجامعة، فتنزاح هذه الصورة إلى أخرى لا تمت للأولى بأية صلة، فيقول واصفا حاله بعد تأثره بالوسط الجامعي، وانغماسه في عالم الحب والوله، فقد بلغ ابتعاده عن الدين إلى درجة ترك الصلاة، فقد جاء على لسان يوسف: "**أذنَ الفجر فتذكّرت الصلاة التي ضيعتها مذ ولجت عوالم اللامعقول بعد أن كنت متمسكا بها مؤمنا بفضلها، مستنيرا بها، لكنّي ضيعتها.**"[5] وقد أوضح أوضح الروائي من خلال بنى الرواية أنّ البطل بعد أن كان مؤمنا اصبح تائها في غياهب الحياة، هائما في عالم العشق.

[1]- المصدر نفسه، ص: 36.
[2]- المصدر نفسه، ص: 125.
[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4]- المصدر نفسه، ص: 17.
[5]- المصدر نفسه، ص: 175.

نلاحظ ضعف الوازع الدينّ عند "نريمان" أيضا، فهي تقول ل"يوسف" حين دخلت بيته: "**لكن الكثيرين رأوني أدخل ربما يعرفنّي أحدهم وأصبح في ورطة، أنت تدرك خطر الوشاية.**"[1] فحين زارت "يوسف" ببيته وهو لوحده لم يهمها أنّ علاقتها به محرمة، ولم تبالي بجريمة الزنا في الدين، فكلّ ما همها هم الناس الذين قد يكونون قد رأوها، وماذا يمكن لن يقع عن وشوا بها.

كما تناول الجانب الديني عند الطلاب في مقطع آخرسرد فيه السارد أحد المواقف التي حدثت أثناء إجدى المحاضرات: "**رفعت إحدى البنات يدها طالبة الإذن في طرح سؤال، أشار عليها الأستاذ بأن تتكلم. نطقت بصوت دافئ يحمل الكثير من خبث السؤال: لماذا لا نرفع العقاب عن الزنا مادام يدخل في إطار الحريات الشخصية؟ نظر إليها الأستاذ بتعجب لا يخلوا من السخط، وكمن يضيف إلى النار الوقود أضافت: أو لماذا لا نرفع صفة التجريم عنه أليس في المساس بهذا الحق مساس بالحضارة.**"[2] هذه الطالبة لا يهمها سوى القانون دون مراعاة للعقيدة والمساس بها، وهي تعكس فئة كبيرة من الطلبة الذين انجرّوا وراء الحضارات الغربية، وانغمسوا في عالم العولمة بمختلف سلبياتها، وتوجهاتها الفكرية والدينية،...، متجاوزين القيم المجتمعية بالجزائر، ومتجاهلين التعاليم الاسلامية، ومتناسين أصل الخلق ونهاية الانسان، وهذا كا يبرز في قول "يوسف": "**ما فكّرت أبدا في خضم حياتى المضمخة بالأحلام أنّ مكانا كهذه المقبرة يسعنّي أنا وكلّ الأماني.**"[3] مؤكّدا أنّ معظم الطلبة يعيشون هذه الحياة، وكأنّ الحياة لا تنتهي، فهم لا يراعون الدين، ولايستحيون، ولايخافون من الله، ولا يعملون ليوم يدفنون تحت التراب.

3.2 الأستاذ:

الأستاذ الجامعي هو الآخر لم يأمن من انتقاد الروائي، الذي أكّد إسهام بعض الأساتذة في تفشي الانحلال الخلقي بالجامعة، حيث يقول: "**كما أن هذه الظاهرة لم تقتصر على محدودي الثقافة أو العمال ذوي المستويات الضعيفة بل وصلت علتها إلى بعض الأساتذة وأصحاب المراكز المرموقة.**"[4] فقد قدّم نموذج عن طالبة حرمت نقاطها، ولم تستعدها إلاّ بعد أن انتهك الأستاذ شرفها وعفتها، فهؤلاء الأساتذة "**يتخفون بأقنعة العلم [لكنهم] يملكون من القسوة واللامبالاة في تنفيذ مخططاتهم مالا يحيي ضمائرهم.**"[5] وقد قدم نماذج مختلفة من شخصيات الأساتذة، لم يكن من بينهم إلاّ أستاذ واحد أشاد به، وقال عنه: "**أنه شهير ومتميز[...]الكل يراه جليلا لا يناقش.**"[6] أما الآخرون فاختلفت شخصياتهم بين أستاذ "**على قدر كبري من التدين**

[1]- المصدر نفسه، ص: 100.
[2]- المصدر نفسه، ص: 22.
[3]- المصدر نفسه، ص: 93.
[4]- المصدر نفسه، ص: 35.
[5]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[6]- المصدر نفسه، ص، ص: (117-118).

والتعصب(...) **يطلق سهامه مهاجما أخلاق الطلبة وسلوكياتهم تارة والنظام الإداري والتسيير تارة أخرى.**"[1] مما جعله محدود الشعبية لدى الطلبة، وبين أستاذ "**يثق في جنونه وعشوائية ردوده.**"[2] على حد قول البطل.

كما تعرض إلى ظاهرة كثرة إضرابات الأساتذة، والتي تؤثر على السير الحسن للجامعة والتحصيل المعرفي لدى الطالب، فلا همّ لهم إلاّ المال على حدّ قوله: "**لم نعتد أية مشاكل خارج البحث عن المال، والذي أصبح محركا لكل النزاعات التي تصدر من المتعلمين وغير المتعلمين.**"[3] فالأستاذ لم يعد يهتم بالتحصيل المعرفي لدى الطالب واستيعابه، وإنّما انحصر اهتمامهم على الجانب المالي فقط.

4.2 الإدارة:

الإدارة حظيت هي الأخرى بقدر كبير من النقد من قبل الروائي بدءا برئاسة الجامعة ومافيها "**من صخب البيروقراطية فالكل مصابين بداء البطء والاستهتار.**"[4] فالإدارات الجامعية تتعمد تعطيل سير الأمور، والاستهتار، واللامبالاة، وعدم تحمل المسؤوليات المسؤوليات اتجاه الطالب والأستاذ.

أشار كذلك إلى قضية عدد الموظفين في إدارة الجامعات، "**متسائلا إن كانت البطالة المقنعة، التي عرفت بها الاشتراكية قد ولىّ زمانها. حيث وقف متعجبا من عدد الموظفين في مكاتب لا تسع إلا موظفا واحدا على الأكثر إضافة إلى الحضور النسائي الذي صار يلفت الانتباه لحدّ الشبهة.**"[5] وبما تكون هذه الظاهرة واحدة من أسباب تفشي الإهمال والاستهتار، وعدم تحمل المسؤوليات.

ومن القضايا التي تعلقت بالإدارة أيضا، طريقة تعاملها مع المشاكل وفضها للنزاعات على أساس الصداقات والمعارف، فيسرد لأجل هذا، مشكل حصل لأحد الأساتذة مع احد الطالبات، وكيف "اختلطت **الأمور وأصبح الأستاذ في وضع تجاوز الحرج شدة، خصوصا وأنها لم تنقل كلامه كما قاله بل أضافت عليه شيئا من السوء والجهالة. لم يكن الأستاذ لينجوا من هذا السخط لولا صداقته مع عميد الكلية والذي نجح بدوره في فض النزاع بينهم.**"[6] فالواسطة والمعارف كانت محور وأساس حل النزاع، دون مراعاة للمسؤوليات والحقائق.

إضافة إلى إنكاره عادة التسامح مع الأنذال، ففي قضية عون الأمن التي اشرنا إليها سابقا، يتطرق إلى طريقة حل النزاعات و المشاكل من قبل الإدارة فيقول: "**الطالبة تم استدعاؤها وإقناعها بأنه متزوج وأب لأطفال، هو عذر كافي حسبهم كي تتنازل عن شكواها، ويا له من عذر باهت، أمّا هو الآخر فتمت معاقبته شفهيا بكلمة "ما تحشمش"التي لا مردودية لها.**"[7] إذ

---

[1]- المصدر نفسه، ص، ص: (21-22).
[2]- المصدر نفسه، ص: 20.
[3]- المصدر نفسه، ص: 75.
[4]- المصدر نفسه، ص: 12.
[5]- المصدر نفسه، ص: 12. بتصرف.
[6]- المصدر نفسه، ص23.
[7]- المصدر نفسه، ص، ص: (32-33).

ساهمت هذه الطريقة في التعامل مع المشاكل والنزاعات، بشكل واضح وكبير في تفشي هذه الظواهر داخل الحرم الجامعي، وبالتالي تأثيره على المردود الجامعي.

كما انتقد الروائي الدخول الجامعي المتأخّر، "**أعلم أنّ الدراسة لن تنطلق قبل عيد الأضحى المناسبات هنا محافل للراحة وترك المشاغل بلا حساب.**"[1] التسيب والإهمال، وعدم اللامبالاة، هو الوضع العام بالجامعة، والنظام المعتم في تسيير الأمور داخل حرمها.

ليشير أيضا إلى عدم اهتمام الإدارة بتحسين خدمات النقل الجامعي؛ ف"**النقل الجامعي متأخر دوما، يأتي بالطلبة مكدّسين ومملوءين بالصبر والابتسامة ككل المرابطين في عالم متوقف ينتظر حراكا لن يكون.**"[2] ما يسهم في تعرضهم للطرد من قبل الأساتذة وعدم حضورهم المحاضرات. فيصف حال البطل بقوله: "**وصل إلى الجامعة وهو مقتنع بتأخره وفوات موعد الدرس الأول ووجد في ذلك سببا لتجنب إحراج محتمل.**"[3] الطالب هو المتضرر الوحيد من هذا الوضع، فمن جهة يعاني من الانتظار والتكدّس، والتزاحم وضياع الوقت، ليصطدم بعدها بقسوة الاستاذ الذي يعرف الظروف ولكن لا يراعيها في تعامله مع تاخر الطلبة...

5.2 العلاقات الأكاديمية:

أما العلاقات الأكاديمية بين أفراد الوسط الجامعي فشملت وصفا عاما "**بأنّ لها أبعاد كثيرة بما تحمله من مجاملات ومحبة مفترضة لا تخضع لقواعد الممارسة الواقعية.**"[4] فالعلاقات في الوسط الجامعي، تسيرها المعارف والمصالح، وتغلب عليها المجاملات، والمحبة المزيفة. هذا الوضع تجلى في حال "**العون الإداري الذي تشبع مذلة وشيتة وأصبح خادما لكل مخدوم ولا تبرير له سوى السعي إلى كسب ود مسؤوليه الذي لا يسمن ولا يغنّ من جوع.**"[5] حيث أنّ ظروف العمل، والوسط العام للجامعة يفرض على أفراده الخضوع، والسعي لكسب المسؤولين، وإدعاء المحبة، وسيطرة التملق على الوضع العام.

بينما تعددت علاقة الطلاب ببعضهم، بين صداقة حدّ الأخوة، مثل: "**عبد القدوس صديقي الجميل الذي تداخلت معه حدّ الأخوة وأحببته كما بادلنّي المحبة.**"[6] وأخرى مقربة جدا مثل علاقة البطل مع نريمان، "**إنها ناريمان، صديقتي المقربة منّ روحا روحا وجسدا يا عبد القدوس، وطالما كانت سندي الذي لا يتخلى عنّ قويا أو ضعيفا. إنها سيدة لا يكررها الزمن ولا تمتلك شقيقة أو شبه في حسن الخلق وجمال الروح.**"[7] كذلك علاقته بنريمان التي تخطت الحدود واتسمت بالخطيئة، وتخطت المحظور فيقول عنه بعد زيارة نريمان له وارتكابهما جريمة الزنا: "**أخذ حماما دافئا أزاح به عرق الخطيئة وروائحها وعاد إلى طهارة**

[1]- المصدر نفسه، ص: 13.
[2]- المصدر نفسه، ص: 132.
[3]- المصدر نفسه، ص: 20.
[4]- المصدر نفسه، ص: 82.
[5]- المصدر نفسه، ص: 149.
[6]- المصدر نفسه، ص: 181.
[7]- المصدر نفسه، ص: 53.

الجسد رغم شحوب القلب."[1] وكأنّ الخطيئة تغسل بالماء الساخن!!، فهو يعبّر عن شحوب القلب بعد تدنسه بالخطايا، رغم نظافة الجسم.

فغالبا ما تتخطّى هذه العلاقات الحدود الأكاديمية والدينية والاجتماعية، مثل نظرة الطالب "يوسف" للأستاذة "هيام بوصوف"، فهو يحدثها ويقول لها بصريح العبارة متجاوزا كل الحدود "**نسيت الأستاذية التي تجمعنا، لكن لم ولن أنس أنك السيدة التي تجرني إلى الموت كمدا من فرط الشوق والابتعاد.**"[2] لكنّ موقف الأستاذة لم يكن مختلفا كثيرا، حيث ذكر "يوسف"بأنّه: "**بعد أحداث عسيرة تفاقمت وتواترت فتحت هيام لي صدره وقبلت طيشي.**"[3] فرغم الرفض الذي أبدته في البداية إلاّ أنّها قبلت بنمو علاقة بينها وبين طالبها؛ لتكون الصدمة أكبر حين يسمع يوسف في آخر الرواية "**من خلف النافذة رجلا يقول: إنه خالد الشرطي زوج الأستاذة.**"[4] وبذلك يكتشف أنّ الأستاذة متزوجة...

من جهة أخرى، أورد صداقات سطحية مثل صداقة "نريمان" و"مليكة" التي عبّر عنها بقوله: "**صديقتها لكن ليس لحد الفرح لفرحها.**"[5] كذلك نجد علاقة البطل بمليكة فرغم صداقتهما إلاّ أنه يتهرب من الجلوس أو المشي معها، ويتضح هذا من خلال المقطع التالي: "**وما كان له أن يقول بأنّ لا وجهة له لأنه واثق من أنها سترافقه ما بقى في الجامعة وهو لا يحتمل عريها الذي يثير انتباه العابرين والقاعدين ولا سخريتها ولهوها الذي لا يعرف الانقطاع.**"[6] البطل ورغم ادعائه التحضر، إلّا انّه لا يحتمل مظاهر العري واللهو التي تتّصف بها بعض الفتيات، باسم التقدم. فأغلب الطالبات "**هنّ بنات العصرنة المزيفة يفتشن عن كل سفه ليرتكبنه باسم الحرية والتحضر الذي يجر إلى تجاوز حدود المعقول وانتهاك أصول الحياة المتعارف عليها اجتماعيا.**"[7] وهو ما لا يرضاه أي عاقل يحترم المجتمع الجزائري المسلم الذي ترعرع فيه، وتربى على دينه وقيمه الأخلاقية.

وضّح الكاتب في موضع آخر نوع مختلف من الصداقات السلبية والسيئة، فقد وصف "يوسف" حاله مع بعض الأصدقاء: "**كلما كبرت في الأدب نقص عدد أصدقائي، منهم الحاقدون ومنهم الذين عطلوا أحلامي فتخلصت منهم.**"[8] فهذا النوع من العلاقات يقذف بالمرء للهاوية، ولا يستحق تسمية الصداقة، لا بد من التخلص منها للتمكن من النجاح وتحقيق الطموحات.

3.خاتمة:

رصد الروائي معظم الصور السلبية التي تعاني منها الجامعة الجزائرية، والتي أدّت إلى فشلها في تحقيق أهدافها، وتأدية مهامها، وبالتالي تراجع مردوديتها. فعرض نماذج قصص خيالية لكنها مستمدّة من واقع الجامعة التي أضحت حرما خصبا لمختلف أنواع الفساد

[1]- المصدر نفسه، ص: 108.
[2]- المصدر نفسه، ص: 140.
[3]- المصدر نفسه، ص: 174.
[4]- المصدر نفسه، ص: 204.
[5]- المصدر نفسه، ص: 161.
[6]- المصدر نفسه، ص، ص: (62-63)..
[7]- المصدر نفسه، ص: 20.
[8]- المصدر نفسه، ص: 67.

والانحلال. فرصد دور الادارة في خلق البيروقراطية داخل حرمها الجامعي، وركّز على إهمال بعض عمّالها في أداء مهامهم، وأنكر سوء تسيير بعضهم للنزاعات وعدم اهتمامهم بحلّ مشاكل الطالب والأستاذ. كما ركّز على دور هذين الأخيرين في تفاقم مشاكل الجامعة، وتدني المستوى الدراسي، وانحطاط البحث العلمي بالجزائر، ودور العديد من الأعضاء المشكّلين للهيئة الجامعية في انتشار الانحلال الأخلاقي، وتجاوز المبادئ والقيم المجتمعية واستبدالها بمظاهر حضارية مستمدّة من الغرب. دون أن ينسى أزمة البطالة التي أدّت إلى هجرة الأدمغة للخارج. ليكشف من خلال ذلك عن تأثير كلّ ذلك على المتخرّج الجامعي الذي تدفع به للمجتمع، ورصيده العلمي، وثقافته، وهويته،... الأمر الذي ينعكس بالضرورة على إبداعه وإسهامه في تنمية اقتصاد البلاد، وتنمية المجتمع من خلال الانتاج، وتطوير البحث العلمي، والارتقاء به للمصاف العالمية، ليحمّل بذلك الكاتب العديد من أعضاء الهيكلة الجامعية مسؤولية والتدهور الذي تشهده الجزائر، والهشاشة التي يعاني منها المجتمع.

4. قائمة المصادر والمراجع:

- أبو القاسم سعد الله، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، د.ط، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، 1985.
- أمال سعودي، "حداثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج"، تحت إشراف د : فتحي بوخالفة، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المسيلة 2008/2007.
- إبراهيم خليل، "بنية النص الروائي"، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2010.
-ريمون ماهيو، "نظريات القراءة :من البنيوية إلى جمالية التلقي لقراءة السوسيو- نقدية"، ترجمة د.عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2003.
- عبد االله رضوان، "البنى السردية "2 (نقد الرواية)"، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003.
- فاتح باي، "دور الجامعة الجزائرية في إنتاج النخبة المثقفة"، تحت إشراف د:الطاهر سعود، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية، جامعة سطيف 2، الجزائر ،2015/2014.
- فضيلة فاطمة دروش، "سوسيولوجيا الأدب والرواية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، ط1، 2013.
- محبة حاج معتوق، "أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية الحديثة"، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط 1 1994.
- محمد رفيق طيبي، "الموت في زمن هش"، دط، دار قيسيرا للنشر، 2015.
- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، "جماليات التشكيل الروائي"، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008.